The political discourse in Surat Al-Baqarah

Prof. Dr. Ali Ghanim Chitheer
University of Basrah / Basrah and Arab Gulf Studies Center
E-mail: ali.jitheer@uobasrah.edu.iq

Abstract:

The value of Surat Al-Baqarah is evident in that it centered on laying the foundations for building the state in the Almedeny period, especially its political discourse, which emphasized the combination the religion and state to Mohammed prophet, contradicting in its content what came in the Jewish, Christian and pagan religions that separated them, and this discourse was appropriate to the historical stage of the Islamic group that transfer from the stage of the oppressed opposition group in Macca to the stage of establishing and building the state in Yathrib.

Key words: political discourse. Religion and the State. Surat Al-Baqarah.

الخطاب السياسي في سورة البقرة

أ.د. علي غانم جثير
جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي
E-mail: ali.jitheer@uobasrah.edu.iq

الملخص:

إن قيمة سورة البقرة تتجلى في أنها تمحورت حول وضع أسس بناء الدولة في العهد المدني لاسيما خطابها السياسي الذي أكد على جمع النبي للدين والدولة، مخالفا في مضمونه ما جاء في الديانات اليهودية والنصرانية والوثنية التي فصلت بينهما، وقد عبر هذا الخطاب عن طبيعة المرحلة التاريخية للجماعة الإسلامية التي انتقلت من مرحلة الجماعة المضطهدة المعارضة في مكة إلى مرحلة تأسيس وبناء الدولة في يثرب.

الكلمات المفتاحية: الخطاب السياسي. الدين والدولة. سورة البقرة.

المقدمة:

هناك مَنْ يُحاول أن يعيد قراءة التجربة النبوية من منظور العصر الراهن الذي يعيشه آخذا بنظر الاعتبار التطور الحاصل في مناحي الحياة كافة، في سبيل أن يُحدث تلاؤما بين التراث وبين الحداثة، فيركز على فصل الدين عن الدولة مثلما فعل علي عبد الرازق الذي قال ما كان محمد "إلا رسول كإخوانه الخالين من الرسل، وما كان مَلِكا ولا مؤسسة دولة، ولا داعيا إلى مُلك"، وإن دعوته كانت دعوة دينية خالصة[١]، بينما على الجانب الآخر نجد أن السلفيين يؤمنون حتى عصرنا هذا بمحاولة تكرار التجربة النبوية حرفيا ونسخها ويركزون على أن السلطة النبوية كانت سلطة دينية ودنيوية وأن الإسلام دين ودنيا[٢]، بمعنى آخر فإن التراث وقع ضحية بين إكراه الماضي للحاضر بالانتقاء وبين إكراه الحاضر للماضي بالاجترار والتكرار، وكلتاهما قراءة ليست تزامنية نتج عنها أن نبقى نراوح في مكاننا مثل مَنْ يركض على جهاز الركض (Treadmill)، أو مَنْ يُطارد حلما صعب المنال.

إن معظم هذه القراءات تقوم على إهدار البعد التاريخي لأنها تستند إلى ثنائية التعصب للذات والتحامل على الرأي المخالف، لذا سنحاول قدر الإمكان ألا نقع أسرى هذه الثنائية وأن نحقق بأفضل ما نستطيع درجة متقدمة من الموضوعية، على الرغم من أن كل الدراسات بما فيها دراستنا تنطلق من منظور ومنهجية متبناة من قبل الذات فهي قراءة ذاتية.

وأقصد بالخطاب تحديدا الرسالة التي يحملها الكلام، سواء أكان منطوقا أم مكتوبا، للمتلقين في ضمن نسق ثقافي واجتماعي معين بهدف إزاحة قناعة راسخة وإحلال أخرى محلها، وسنحاول الكشف عن مضمونه في سورة البقرة باستخدام منهج تزامني يحاول تَمَثُّل الماضي وفقا لنسقه الاجتماعي والثقافي الذي أنتجه والتركيز على ما وراء النص أي بدراسة الخطاب الكامن وراء منطوق الآيات مع قراءة العلامات الماثلة في سورة البقرة قراءة سيميائية تعتمد البحث الدلالي أساسا، مع تجميع المتناثر من دلالات مباشرة في آيات سورة البقرة وربطها بدلالات غير مباشر في الأمثلة والقصص الواردة في آيات أخرى من السورة نفسها، واستحضار مضامين المحاور التي وردت في سورة البقرة بما جاء في السور المكية التي سبقتها نزولا.

أما النص في هذا البحث فهو سورة البقرة التي لا تكمن قيمتها في أنها أول سورة مدنية ضمت تصويرا دقيقا لأبعاد الصراع العقائدي بين الدعوة النبوية والأطراف المعارضة من يهود ومشركين ومنافقين كونها أول السور نزولا بعد الهجرة النبوية، ولا في أنها حملت أول التشريعات والأحكام التي تنظم حياة الجماعة الإسلامية في يثرب من مختلف النواحي، بل إن قوتها تتمثل برأيي فضلا عما تقدم في أنها

طرحت خطابا سياسيا مغايرا للخطاب السياسي السائد بين الديانات المنتشرة في شبه الجزيرة العربية آنذاك، ومن هنا نبعت أهمية هذه الدراسة ولاسيما إن السورة لم تُدرس من هذه الزاوية.

قراءة في سورة البقرة:

تعد سورة البقرة أول سورة مدنية وأكبر سورة قرآنية، وقد غطت المدة الزمنية التي تبدأ من وصول النبي محمد إلى يثرب في ربيع الأول حتى سرية نخلة (رجب ٢هـ) التي حدثت بعد الهجرة النبوية بسبعة عشر شهرا.

وقبل الدخول في دراسة مضمون السورة علينا أن نحدد، ومن خلال عددٍ من آياتها، أصناف الناس في يثرب، أي متلقو الخطاب آنذاك:

١/ المناصرون للنبي محمد ودعوته الذين نُعتوا نعتا عاما بالمؤمنين بشكل متكرر في السورة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(١٥٣)[٣]، ثم أسمّت أحد أصنافهم وأقصد بهم المهاجرين (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٢١٨)، بينما لم ترد تسمية الأنصار، وهم المؤمنون من الأوس والخزرج، إلا في السورة التالية لها نزولا التي جمعت بين المهاجرين والأنصار (وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (الانفال٧٤).

٢/ المشركون الذين أطلقت عليهم بعض آيات البقرة عبارة (الذين لا يعلمون) أي غير الكتابيين (...كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)[٤].

٣/ أهل الكتاب ومنهم اليهود والنصارى والصابئة (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢)[٥]، وبالرغم من أن الخطاب يتسم بسمة العموم ويخاطب ما كان متعارفا في الذهن العربي آنذاك إلا أن مصادر السيرة النبوية أكدت وجود اليهود في يثرب في ثلاث فصائل (بنو قينقاع، بنو النضير، بنو قريظة)، بينما أشارت إلى وجود بعض من النصارى فيها[٦]، وفي الوقت نفسه لم أعثر في تلك المصادر على شخصيات من الصابئة، لكنه أمر غير مستبعد فلا يخلو المجتمع اليثربي آنذاك من واحد أو أكثر منهم.

٤/ المنافقون: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ(٨)، ولم تقتصر ظاهرة النفاق على المشركين بل كان هناك منافقون من اليهود بدلالة الآية (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(٧٦)[٧].

وقد تُسمي آيات السورة الأصناف الثلاثة السابقة بأسمائهم وقد تجمعهم بإطلاق صفة واحدة عليهم هي (الكافرون)، (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(٦)[٨]، التي تعني الجاحدين أي المنكرين لنبوة محمد[٩]، فالكفر نقيض الإيمان، وجحود النعمة سترها[١٠].

ونأتي الآن للحديث عن مضمون سورة البقرة عموما كي يكون مدخلا لفهم الخطاب السياسي، فيمكن القول إن جوهر آياتها كان يُعالج جحود المعارضين من مشركين ويهود ومنافقين للدعوة الجديدة، وتمثلت صور الجحود في ثلاثة موضوعات هي:

١/ عدم الاعتراف بنبوة النبي محمد: اعتقد أنه حجر الزاوية الذي تم التركيز عليه من قبل المشركين والمنافقين واليهود في إضعاف انتشار الإسلام في يثرب، فنقض مُسَلَمَةْ أن يكون محمد نبيا يدحض كل الدعوة التي يدعو إليها من الأساس، فقد كانوا في حالة شك من ادعاء محمد للنبوة (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٢٣)، ويبدو أن وجود النبي محمد وأتباعه من المهاجرين في يثرب بدعوة ممن عُرف في الآيات القرآنية والمصادر التاريخية باسم (الأنصار)، والشروع بوضع أسس دولة يكون هو قائدها قد أثار حفيظة المشركين والمنافقين واليهود الذين سجلت آيات سورة البقرة جحودهم لنبوته، ولاسيما اليهود الذين يتبين، قياسا من حجم الآيات المخصص لهم في السورة، أنهم رأس الحربة في هذه المواجهة، وهذا أمر طبيعي لأنهم كتابيون ولديهم إلمام ومعرفة بظاهرة النبوة وتاريخ الأنبياء الذين كان معظمهم إن لم يكن كلهم من بني اسرائيل، لذا أنكروا نبوة محمد (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ(٨٩)[١١]، وقال الطبري "أظهر أحبارُ يَهودها لرسول الله صلى الله عليه وسلم الضَّغائن، وأبدوا له العداوة والشنآنَ، حسدًا وَبغيًا"[١٢].

وقد كان تعصب كل من اليهود والمشركين لعقيدتهم أحد مبررات جحودهم للنبوة الذي كان واضحا في بعض الآيات، ففيما يخص اليهود نجد الآية (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ...(٩١)، والشيء نفسه كان موجودا عند المشركين (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...(١٧٠)[١٣]، أي ما يمكن أن نسميه اعتقاد كل منهم بأفضلية ومركزية ديانتهم التي أثمرت عن انغلاق عن الاستماع للدعوة الجديدة، وعلى أساسه كان أهل الكتاب يأملون على ما يظهر أن يتبع النبي محمد دعوتهم وهذا ما نقرؤه في آية (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ...(١٢٠)[١٤].

٢/ الشرك بالله: ويرد في سورة البقرة إشارة إلى نوعين من الشرك؛ الأول يختص بعبدة الأصنام من الوثنيين العرب (...فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٢٢)[١٥]، أما الثاني فهو التوحيد المشوب بالشرك الذي نجده ماثلا عند أهل الكتاب (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ...(١١٦) [١٦].

٣/ إنكار البعث والحساب الأخروي: نجد في السورة آيات تشخص الرد القرآني على جحود المشركين للبعث والحساب في عدة آيات (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٢٨)[١٧]، ويأتي الاستشهاد بقصة نبي الله إبراهيم في السياق ذاته (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٢٦٠)، وفي السورة آيات كثيرة تستخدم الترهيب والترغيب كجزء من الرد القرآني على المنكرين للبعث والحساب[١٨].

وهناك آيات أخرى تتحدث عن تصور خاص لدى أهل الكتاب عن يوم الحساب منها تبجحهم بأن الجنة ستكون حكرا عليهم (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى...(١١١)[١٩]، فضلا عن اعتقاد البعض منهم بأنهم لن ينالوا العذاب إلا لمدة قليلة جدا (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً...(٨٠)، وهو تصور مؤسس على اعتقادهم بأفضلية ديانتهم على بقية الديانات، وأنهم أفضل العالمين، أي ما يمكن تسميته بالمركزية الكتابية.

وقد سجلت آيات سورة البقرة عدداً من الممارسات والمواقف التي تدلل على جحود الكافرين، ولعل من أبرزها:

١/ الشك في الملاك الناقل للوحي: وهو الركيزة الأساس في دحض قول محمد بأنه نبي يوحى له من السماء من خلال التشكيك بالملاك الناقل للوحي، فلو توقفنا قليلا أمام دلالة الآية الآتية (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧)، التي تثير بعض الأسئلة ومنها: مَنْ هو جبريل في التصور القرآني ؟، ومَنْ هم أعداءه ؟.

يمكن القول في معرض الإجابة عن هذين السؤالين إن الآية المذكورة وردت في سياق خطاب قرآني يرد على اليهود في يثرب[٢٠]، وهذا يعني إنهم كانوا الموصوفين بمعاداة جبريل، وأنها تؤكد للمتلقين أن اسم الوسيط الناقل للوحي الإلهي هو جبريل، وهذه هي المرة الأولى التي يرد فيها تسمية الملاك الناقل للوحي في الآيات القرآنية، فلم يرد اسمه في السور المكية التي ذكر بعضها توصيفا له بروح القدس (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ...(النحل١٠٢)، وسُميّ أيضا بالروح الأمين(الشعراء١٩٣)، ومن أجل إيجاد تفسير لشك اليهود بطريقة نقل الوحي علينا أن نتساءل عن طريقة نقله في التصور التوراتي ؟.

بالعودة للتوراة وجدنا أنه يعكس اعتقاد اليهود بأن الخطاب الإلهي للأنبياء كان عن طريق الكلام المباشر بعبارة (قال الله) أو (قال الرب)، ويمكن أن نضرب مثلا على ذلك بنصيّن من التوراة، الأول عن نوح وآخر عن إبراهيم، "فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ. اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ"[٢١]. "وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ"[٢٢]، أضف إلى ذلك أن إحدى آيات سورة البقرة تعزز

ذلك (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ...(٢٥٣)، التي تحمل ردا على حصر اليهود لعملية الوحي بالكلام المباشر بين الذات الإلهية والأنبياء، إذ توضح أن هناك اختلافا في طريقة تلقي الوحي بين الأنبياء، فمنهم مَنْ كلمه الله ومنهم مَنْ أتاه الوحي عن طريق وسيط مثل عيسى، وربما كان المقصود بالمتلقين للوحي عن طريق الكلام من الأنبياء في الآية المذكورة هم أنبياء بني إسرائيل، وفي سورة البقرة ذِكر لهذه الطريقة (فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)، وكذلك إبراهيم الذي اختبره الله بأوامر ونواهٍ (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ... (١٢٤)[٢٣]، علاوة على أن موسى الذي ذُكر في القرآن المكي بأن الله كلمه (إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى(١٦)[٢٤]، وفي سياق هذا الموضوع نضع التكرار القرآني لذِكر الملائكة وحظوتهم عند الذات الإلهية في عدد من الآيات[٢٥] كجزء من الرد على تصورات اليهود بهذا الخصوص، كما عُدَ الإيمان بالملائكة من مسلمات الإيمان[٢٦]، كذلك إقران عبارة (الروح القدس) كوسيط ناقل للوحي للنبي عيسى في آيتيّن من سورة البقرة (٨٧، ٢٥٣).

٢/ الشقاق: بمعنى "الصدع البائن... وقيل هو الصدع عامة"[٢٧]، أي حدوث فجوة كبيرة أدت إلى ابتعاد طرف عن طرف آخر بسبب الخلاف الحاد بينهما، وقد نصت سورة البقرة على شقاق الكافرين في يثرب بقولها (فَإِنْ آَمَنُوا بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(١٣٧)[٢٨]، وقد كان للشقاق صور عدة من بينها تكذيب النبي (...أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ(٨٧)، (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ(٩٩) أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(١٠٠)، وتحريف كلام الله الذي سجلته آية (...وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٧٥)[٢٩]، ومطالبتهم بالمعجزات (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آَيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ(١١٨) ولا يستبعد قيام اليهود بالشيء نفسه بدلالة تذكيرهم بمغبة ذلك من خلال سرد حادثة من تاريخهم (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ(٥٥)، حتى أن تأثيرهم كان له صدى على بعض المؤمنين الذين كان لديهم رغبة مماثلة (أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ...(١٠٨).

ولعل من صور الشقاق سخرية الكافرين من المؤمنين والاستهزاء بالدعوة الجديدة وهذا ما تجلى في الآيتين التاليتيّن(زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا...(٢١٢)، (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ(١٤)، وكان عمل الكافرين ولاسيما أهل الكتاب جاريا على منع الناس من الانتماء للدعوة الجديدة ومحاولة رد المؤمنين عنها فـ(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا...(١٠٩)، و(قَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا...(١٣٥)،

و(مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ...(١٠٥)، ولعل هذه الممارسات والأعمال تنضوي تحت النعت القرآني الفساد في الأرض الذي وصفته آية (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ(١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ(١٢)[٣٠].

ونختم هذا المبحث بالحديث عن خرق أهل الكتاب للميثاق والعهد كجزء من الشقاق، ونبدأ بتعريف اللغويين للميثاق بأنه "كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى عَقْدٍ وَإِحْكَامٍ. وَوَثَّقْتُ الشَّيْءَ: أَحْكَمْتُهُ... وَالْمِيثَاقُ: الْعَهْدُ الْمُحْكَمُ"[٣١]، وكلمة العهد في جوهرها تعني "الاحتفاظ بالشيء، وإحداث العهدِ به"[٣٢]، ويُعرف اصطلاحا بأنه "التزام ووصية أو مجموعة التزامات ووصايا"[٣٣]، (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)، بمعنى الذين يخرقون الالتزامات والوصايا الإلهية من بعد إحكامها، وهنا نلفت نظر القارئ إلى أن سورة البقرة تحدثت عن بنود العهد في عدد من الآيات التي ورد فيها كلمتا (ميثاق) و(عهد) والتي نعرف منها أن مضمون العهد والميثاق يتركز على الإيمان بالغيب ويتضمن الإيمان بالله وحده دون شريك، والإيمان بالآخرة، والإيمان بالنبوة، ثم البر والعمل الصالح مثل عدم سفك الدماء وحسن معاملة الوالدين والأقرباء، وإقامة الشعائر والطقوس الدينية كالصلاة وغيرها[٣٤]، ومن السهل اكتشاف أنها تناقض الفقرات المذكورة سابقا التي شخصت جحود الكافرين وشقاقهم ومنهم بنو إسرائيل، فهذه الآيات تُجمل ما تقدم وتؤكد ما ذُكر سابقا بأن أهل الكتاب وبخاصة اليهود كانوا الخصم الأول للدعوة الجديدة، علما أن تفاصيل أخرى وردت بهذا الخصوص في سورة البقرة سنتناولها في مضمون المبحث الآتي ولم نشأ سردها هنا تفاديا للتكرار.

الخطاب السياسي في سورة البقرة:

اتضح لنا فيما تقدم إن جحود نبوة النبي محمد هو صلب موضوع سورة البقرة لأنه الركيزة الأساسية التي استند إليها المعارضون لدحض سلطته الناشئة في يثرب، وسوف يتبين لنا أن الأمر على صلة وثيقة بمسألة تقديم النبي محمد نفسه كزعيم سياسي يحكم يثرب على مستوى الواقع وانعكاس ذلك كخطاب سياسي جديد طُرِح في سورة البقرة يقوم على جمع النبوة والمُلك له، وهو خطاب مغاير لنظيره في الديانات السابقة على الإسلام بما فيها الديانة الوثنية، وهو ما سيتم الكشف عنه بشيء من التفصيل في هذا المبحث في الفقرات الآتية:

١/ الخطاب السياسي للديانات السابقة:

لقد تركز الخطاب السياسي للديانات السابقة على فصل النبوة عن المُلك، فكانت الديانة اليهودية تفصل بين الأنبياء والملوك في تاريخهم، إذ كانوا يعتقدون بأن داود وسليمان هم ملوك وليسوا أنبياءً، وبدا

ذلك جليا في التوراة في عدة نصوص سنختار منها نص تنصيب داود ملكا (وَجَاءَ جَمِيعُ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ إِلَى دَاوُدَ... وَمَسَحُوا دَاوُدَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ)[٣٥]، بينما كان ناثان نبيا معاصرا له (وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى نَاثَانَ قَائِلاً: «اِذْهَبْ وَقُلْ لِعَبْدِي دَاوُدَ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَأَنْتَ تَبْنِي لِي بَيْتًا لِسُكْنَايَ)[٣٦]، ووجدنا تأكيدات توراتية كثيرة على أن سُلَيْمَانَ كان مَلِكا على مملكة إِسْرَائِيلَ، ويمكن أن نستشهد بهذيّن النصيّن، الأول قول (بَثْشَبَع) أُمِّ سُلَيْمَانَ "[١٣]إِلَى الْمَلِكِ دَاوُدَ... أَمَا حَلَفْتَ أَنْتَ يَا سَيِّدِي الْمَلِكُ لأَمَتِكَ قَائِلاً: إِنَّ سُلَيْمَانَ ابْنَكِ يَمْلِكُ بَعْدِي"[٣٧]، والثاني أمر داود بتنصيب سليمان ملكا من بعده على إسرائيل "[٣٣]فَقَالَ الْمَلِكُ [داود] لَهُمْ: «خُذُوا مَعَكُمْ عَبِيدَ سَيِّدِكُمْ، وَأَرْكِبُوا سُلَيْمَانَ ابْنِي عَلَى الْبَغْلَةِ الَّتِي لِي، وَانْزِلُوا بِهِ إِلَى جِيحُونَ، [٣٤]وَلْيَمْسَحْهُ هُنَاكَ صَادُوقُ الْكَاهِنُ وَنَاثَانُ النَّبِيُّ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَاضْرِبُوا بِالْبُوقِ وَقُولُوا: لِيَحْيَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ"[٣٨].

أما الديانة المسيحية فهي أيضا تفصل بين النبوة والمُلك، فنجد صدى عبارة المسيح المشهورة مكررا في أناجيلهم (أَعْطُوا إِذًا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلهِ لله)[٣٩]، أو قوله في إنجيل يوحنا (مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ)[٤٠].

ولو جئنا للديانة الوثنية التي كانت منتشرة في قلب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام لوجدنا هذا الفصل ماثلا، فكان هناك زعيم القبيلة الذي يتولى شؤونها الإدارية والسياسية داخليا وخارجيا ويفصل في المنازعات[٤١]، في حين كان هناك كاهن القبيلة وهو المسؤول عن تغذية الناس بتصوراتهم ومعتقداتهم الدينية، وهو حلقة الوصل بينهم وبين خبر السماء الذي يصله عن طريق الجن مثلما سجله كثير من الآيات القرآنية ومنها (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنْ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا(الجن٦)[٤٢]، ومن هنا ندرك مغزى توصيف زعماء المشركين للنبي محمد بالكاهن والنفي القرآني له.

٢/ الخطاب السياسي في سورة البقرة:

ليس من السهل تلمس معالم الخطاب السياسي الجديد في سورة البقرة في آيات صريحة ومباشرة، بل ورد في القصص، ومما يزيد الأمر صعوبة أن منهج المفسرين في دراسة القصص يقوم على شرح تفاصيل القصة في حد ذاتها من دون التطرق لشرح أبعاد علاقتها بالواقع الثقافي والاجتماعي الذي ظهرت في سياقه والكشف عن مضمون الرسالة التي تحملها للمتلقين آنذاك، أو ربطها بمحاور السورة نفسها، وسنقوم على اعتماد منهجية مغايرة في تجميع بعض العلامات الواردة في قصص السورة بعضها مع البعض الآخر مما يسهل عملية إدراك فحواها، بأن نقف على إجابة للتساؤل عن دلالة التغاير القرآني في محاور قصة آدم في سورة البقرة عن محاور القصة نفسها في السور المكية، أي دلالة التغاير على مستوى النص، وتماهيه مع دلالة التغاير على مستوى الواقع السياسي آنذاك بين المرحلتيّن المكية والمدنية، ثم دراسة

التأكيد القرآني على جمع داود وسليمان للمُلك والنبوة مناقضا بذلك للتصور التوراتي بهذا الخصوص، والبحث عبر التساؤل عن القصدية الكامنة وراء كل ذلك، لذا سنتناول الخطاب السياسي في سورة البقرة هنا في المحورين الآتيين:

أ/ استخلاف آدم:

بادئ ذي بدء سنختزل محاور قصة آدم في السور القرآنية في الجدول الآتي:

ت	السورة	محاورها
١	ص	الخلق والسجود (٧١-٨٥).
٢	الأعراف	الخلق والسجود (١١-١٨). الخطيئة والهبوط (١٩-٢٤)
٣	طه	السجود (١١٥- ١١٦). الخطيئة والهبوط (١١٧-١٢٣)
٤	الإسراء	السجود (٦١-٦٥).
٥	الحجر	الخلق والسجود (٢٦-٤٣).
٦	الكهف	الخلق والسجود (٥٠).
٧	البقرة	الإستخلاف(٣٠). الخلق والسجود(٣١-٣٤). الخطيئة والهبوط(٣٥-٣٨).

يمكن القول استنادا للجدول آنفا إن قصة آدم في السور المكية ركزت على محورين الأول هو محور (خلق آدم وسجود الملائكة له وتمرد إبليس)، والثاني هو محور (الخطيئة والهبوط للأرض)، أما المحور الثالث وهو محور الاستخلاف ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فقد ظهر لأول مرة في سورة البقرة كإضافة نوعية للقصة وإن كان بشكل مركز، رغم إن قصة آدم في سورة البقرة لم تقتصر على محور الاستخلاف بل تضمنت المحاور الثلاثة كلها إلا أن محور الاستخلاف لم يكن موجودا في نفس القصة في السور المكية[٤٣]، وعليه فإن دلالة إضافة المحور المغاير لم تكن اعتباطية بل كانت تتوافق مع متطلبات الواقع الجديد، إذ تزامنت على ما يظهر مع انتقال الجماعة الإسلامية من مرحلة الجماعة المضطهدة المعارضة في مكة إلى مرحلة تأسيس الدولة وبنائها في يثرب، لذا جاء محور الاستخلاف في قصة آدم استجابة لهذا المتغير السياسي المهم في تاريخ الجماعة الإسلامية الناشئة آنذاك، أي إن له علاقته بشرعنة سلطة النبي محمد في يثرب في خضم مجتمع معارض لسلطته من مشركين ويهود ومنافقين، وتُؤَسَس فيها دولة لأول مرة، أي لم تكن فيها سلطة مركزية من قبل، ويمكن أن نبدأ لفهم مضمون الخطاب السياسي القرآني بقراءة آية البقرة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً... (البقرة٣٠)، و"خلف فلان فلانًا في هذا

الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده"[٤٤]، وهذا المعنى نجده في الآية المكية (...وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (الاعراف١٤٢)[٤٥]، وبهذا يكون مضمون القول الإلهي أعلاه "مُستَخلِفٌ في الأرض خليفةً"[٤٦]، بحسب ابن مسعود(ت٣٢هـ/ ٦٥٣م) وابن عباس(ت٦٨هـ/٦٨٧م) "إني جاعل في الأرض خليفةً مني يخلفني في الحكم بين خلقي"[٤٧]، وهذا يعني أن سورة البقرة في قصة آدم ترسل خطاباً يؤكد أن الأنبياء هم خلفاء الله في الحكم بين الناس، وهو خطاب ينسجم مع ما ورد في سورة (ص) المكية (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...(٢٦)، أي "ملّكه في الأرض" ليحكم بين الناس بالعدل والإنصاف[٤٨]، ونخلص مما تقدم إن الخطاب القرآني في سورة البقرة من خلال محور الاستخلاف في قصة آدم يؤسس لشرعنة سلطة النبي محمد في يثرب.

ب/ نبوة وملك داود وسليمان قرآنيا:

اتضح لنا سابقا أن التوراة لا تعد داود وسليمان أنبياء بل تعدهم ملوكا، فهل حمل الخطاب القرآني المضمون نفسه؟.

إن الخطاب القرآني كان مناقضا للطرح التوراتي بهذا الخصوص، إذ قدم لنا داود وسليمان على أنهما نبيان وملكان في الوقت نفسه، فذُكرت نبوتهما في عدد من السور المكية منها (... وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا(الاسراء٥٥)، (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ(النمل١٥)[٤٩].

إن كلمة (مَلَك) تدل "على قوة في الشيء"[٥٠]، وإن (المُلْك) هو السلطان[٥١]، ويأتي المُلْك بمعنى السيطرة والتحكم في السلطة السياسية العليا لبلد ما في عدد من الآيات القرآنية ومنها آية سورة الزخرف (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ...(٥١)، ويكون المَلِك على رأسه فجاء في سورة يوسف (قَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ...(٤٣)[٥٢] لتتناسق مع المعنى نفسه في بعض آيات سورة البقرة (...إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا...(٢٤٧)[٥٣]، فنشهد الانسجام في خلق خطاب قرآني يؤكد إن (اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ(٢٤٧)، وقد نص عدد من الآيات المكية على أن داود وسليمان كانا ملكين، ومنها بخصوص داود (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (ص٢٠)، وسليمان الذي (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ(ص٣٥)، وقد جاءت الآية الآتية من سورة البقرة كتتويج للخطاب القرآني المذكور (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ...(٢٥١)، التي فُسرت بجمع المُلْك والنبوة لداود[٥٤]، وقد تلتها آية (٢٥٣) في السياق ذاته التي تؤكد تفضيل بعض الأنبياء على بعض،

ومنهم داود الذي كُرِّم بالملك والنبوة[٥٥]، كما ذُكِرَ مُلْكُ سليمان عرضا في سورة البقرة (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ...(١٠٢).

إن القصد واضح في جدة الخطاب السياسي القرآني الذي يجمع النبوة والمُلك لداود وسليمان مشرعنا جمعهما أي الملك والنبوة للنبي محمد، وهو طرح مغاير لما كان سائدا آنذاك، ومنسجم مع طبيعة المرحلة المدنية الجديدة ولاسيما أن كتب السيرة النبوية تتحدث عن إصدار النبي للصحيفة التي كانت بمثابة الدستور الذي ينظم العلاقة بين سكانها آنذاك[٥٦].

ومما له صلة بهذا الموضوع وينبغي التوقف عنده هو ما نلاحظه في سورة البقرة أنها تقرن بين النبوة وبين الحكم في وظيفة الأنبياء (... بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...(٢١٣)، وكان هذا واضحا منذ الآيات المكية (أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ...(الأنعام٨٩)[٥٧]، بمعنى القدرة على فض النزعات بالحلول والإجراءات الصحيحة، أو ما يمكن تسميته بصواب الرأي وبصفة خاصة إن الحكم والحكمة من جذر واحد، إضافة لوجود اقتران في عدد من الآيات القرآنية بين الحكمة والكتاب، أي إن مضمون الوحي يمتاز بالحكمة (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(البقرة١٢٩) و(ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ... (الإسراء٣٩)[٥٨] التي تعني الأمر الصائب الذي يمتاز بخدمة الصالح العام، فهل قَدَم النبي نفسه كحاكم يفصل في خلافات الفرقاء في يثرب ؟، وهل قبلوا به ؟.

إن أبرز التحديات التي واجهت النبي محمد في يثرب هو تأسيس دولة في مدينة لا تخضع له فصائل كثيرة من سكانها، فكان الزعماء القبليون هم المتحكمون في الشأن السياسي لفصائلهم، وهم ممثلو قبائلهم في عقد التحالفات أو شن الحرب وإحلال السلام. وكان الطابع الغالب على مدينة يثرب قبل الهجرة النبوية الانقسام السياسي والاقتتال الداخلي مما جعلها مدينة غير آمنة نتيجة لغياب الدولة، بينما يُعد القانون سمة أساسية من سمات الدولة وركناً من أركان بسط السيادة داخليا، لذا وجد النبي محمد نفسه أمام تحدٍ كبير وإن عليه أن يعطي لضبط الأمن وفرض القانون أولوية قصوى، وأن الفصل في المنازعات بين فصائل كبيرة في يثرب مثل اليهود بفصائلهم الثلاث (قينقاع، النضير، قريظة) وبين المشركين (الأوس ،الخزرج)، والمؤمنين (المهاجرين، الأنصار) هو جزء أصيل في الجانب السياسي وبخاصة إذا كانت تلك النزاعات تحمل جذورا سياسية، وقد عقد (مونتغمري وات) الصلة بين الفصل في المنازعات بين سكان يثرب وبين الناحية السياسية بقوله "وكان هذا يعني، من الناحية الدينية، قبول محمد كنبي، ومن الناحية السياسية كحكم بين الفئات المتنازعة في المدينة"[٥٩].

وبناءً على ما تقدم واستنادا لبعض بنود الصحيفة كالبند ٢٣/ "وَإِنَّكُمْ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ"، والبند ٤٢/ "وَإِنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ

اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ"[٦٠]، يمكن القول إن النبي محمد قَدَم نفسه كحكم بين فصائل التركيبة السكانية ليثرب، ومن المؤكد إن قسما منهم قَبِلوا به وكانوا موالين له هم (المؤمنون)، وإن القسم الآخر كانوا رافضين لوجوده دينيا وسياسيا (الكافرون من يهود ومشركين) ، وإن البعض الآخر (المنافقون) كانوا منتمين ظاهرا لدولته إلا إنهم غير موالين له فقد قبلوا به على مضض لتحقيق أهداف مضادة، ومثلما هو معروف بأن السيادة من مرتكزات الدولة التي لا تتحقق إلا بالشرعية التي استمدها النبي محمد من ولاء المؤمنين به من أهل يثرب الذين تعهدوا بإيوائه واتباعه في مدينتهم وفقا لمضمون اتفاق العقبة الثانية[٦١]، فلم يتمكن المعارضون للنبي محمد من فرض إرادتهم على المؤمنين من أهل يثرب ولم يتمكنوا من إجبارهم على عدم قبول تواجد النبي والمهاجرين في يثرب، ولكنهم وجدوا في معارضة السلطة النبوية دينيا وسياسيا فرصتهم لمحاولة تغيير قناعة الأنصار بها، فركزوا على البحث عن وسائل وطرق لتحقيق هدفهم الذي أسهم في انشغالهم نوعا ما عن صراعاتهم الداخلية، ولا يستبعد أن وجود قوة عسكرية متنامية تدريجيا من المسلمين تحت أمر النبي محمد والتي باشرت بتنفيذ مهام عسكرية خارجية (السرايا والغزوات) أسهم في ردعهم إلى حد ما.

وتلخيصا لما تقدم نقول إن الصراع مع المشركين واليهود والمنافقين في جوهره صراع سياسي وإن اتخذ صورة دينية وعقائدية، فقد كانوا رافضين للتجربة النبوية في تأسيس دولة في يثرب، وما شكلته هذه الظاهرة في نقل العرب من الشكل السياسي القَبَلي إلى شكل سياسي أنضج وأعمق مؤسساتيا الممثل بالدولة، وهذا هو مضمون أن يكون العرب أمة كتابية[٦٢]، أي رفض لما اعتبروه سلطانا سياسيا يهدد وجودهم، وإن الحجر الأساس في هذا الرفض هو عدم الاعتراف بنبوة محمد وتكذيبه، لهذا نرى تركيزا واضحا في سورة البقرة على إثبات صحة الخطاب السياسي الجديد في الجانب الديني في إثبات النبوة وتأصيلها من جهة، والشروع من جهة ثانية بوضع أسس الدولة وبيان قيمتها في الجانب الدنيوي، وسنحاول فيما يأتي التفصيل في دراسة هذين الجانبين:

أولا: الجانب الديني المتمثل في إثبات نبوة النبي محمد، إذ كان الاعتقاد السائد بين أتباع الديانتين اليهودية والمسيحية إن النبوة حكرٌ على بني إسرائيل، وإن ليس لبني إسماعيل حظٌ فيها وهذا ما نجده ماثلا في نصوص التوراة التي تحمل نصا يبدو إنه الأساس الأيديولوجي الذي كان في ضوئه يُشيع أهل الكتاب أفكارهم بين العرب عن احتكار النبوة وهو عبارة عن خطاب إلهي موجه لنبي الله إبراهيم "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد واجعله أمة كبيرة. ولكن عهدي أقيمه مع إسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية"[٦٣]، أي أنهم كانوا لا يعتقدون بنبوة

إسماعيل، وذكر دروزة "أن اليهود كانوا يزهون على العرب بأن الأنبياء جميعهم إنما كانوا من نسل أبيهم إسحاق"(٦٤).

وفي ضوء ذلك ندرك أهمية التأكيدات القرآنية في السور المكية وفي سورة البقرة على أن إسماعيل كان نبيا كخطاب يحاول إعادة الاعتبار لإسماعيل كنقيض للتهميش التوراتي المذكور سابقا، بهدف إرساء أحقية أن تكون النبوة في العرب وأن يكون محمد نبيا، ويمكن أن نفهم أبعاد الموضوع بشكل دقيق من خلال التأكيد القرآني على أبوة إبراهيم الدينية والعرقية للعرب عموما بقوله (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ...(إبراهيم٣٧)، وعلى أن إسماعيل وإسحق في بعض الآيات كابنين لإبراهيم خصوصا بقوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ(إبراهيم٣٩)، ثم إن تكرار الخطاب على نبوة إسماعيل في المرحلتين المكية والمدنية ينم عن محاولة تأكيد هذه الثيمة وترسيخها في أذهان المتلقين كخطاب مناقض للخطاب السائد (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (مريم٥٤)(٦٥)، وقد تكرر مضمون هذا الخطاب في سورة البقرة مرتين (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(١٣٣)(٦٦)، وأيضا ترسيخ هذا الخطاب وبيان أقدميته عبر تأصيل قيام إسماعيل ببناء بيت الله مع أبيه إبراهيم (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(البقرة١٢٧)، التي بعثت إشارة للمتلقين العرب وأهل الكتاب على حد سواء بأنهم ينحدرون من جد واحد هو إبراهيم، وإن إسماعيل كان نبيا، فلم لا تجوز النبوة في بنيه ومنهم محمد ؟!.

ولعل من الموضوعات التي تكمل مضمون هذا الخطاب هو التركيز القرآني في سورة البقرة على أن من مسلمات الإيمان هي الإيمان بكل الأنبياء والرسل، أي بما فيهما نبوة إسماعيل ومحمد، وكان من الطبيعي أن نجد في عدد من آيات سورة البقرة خطابا صريحا دالا على كون محمد نبيا، الذي يُعد جزءا أصيلا من الخطاب السياسي في شقه الديني (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ...(١٢٩)، (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ...(١٥١)(٦٧)، ويمكن للقارئ أن ينتبه في الآيتين السابقتين لعبارتي (رسولا منهم، رسولا منكم)، أي من العرب، وهي تبعث برسالة للمتلقين آنذاك تدحض ادعاء بني إسرائيل بهذا الشأن، فليس بالضرورة أن تكون النبوة حكرا عليهم.

ثانيا: الجانب الدنيوي المتمثل بوضع أسس الدولة، فمن الأهمية بمكان أن نتناول آيات سورة البقرة التي وضعت لما نعتقد أنه اللبنات الأولى لمؤسسة الدولة بشكلها الجنيني القابل للتطوير والنضج مستقبلا، وهي:

أ/ تحديد هوية الدولة بأنها دولة دينية عقيدتها الإسلام الذي اكتسب في سورة البقرة هوية متمايزة عن الديانات الكتابية السابقة، ويمكن تحديد أبرز معالم التمايز بالآتي:

١/ التوحيد الخالص بالانتساب بشكل خاص إلى (... مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (البقرة١٣٥)[٦٨]، التي وجدنا أن النبي محمداً أُمر بقولها في سور مكية[٦٩]. إن رمزية إبراهيم في القصص القرآني متنوعة يأتي في مقدمتها التوحيد الخالص وتحطيم الأوثان[٧٠]، لذا فإن الانتساب إليه من منظور قرآني هو عودة للدين في توحيده الخالص كرد فعل على شرك الوثنيين، وأيضا على التوحيد المشوب بالشرك عند أهل الكتاب، علاوة على ذلك هناك رمزية أخرى متممة لها ألا وهي الإسلام (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(البقرة١٣١)، بمعنى الانقياد لله والخضوع له وطاعته[٧١] التي نجد جذورها في مضمون قصة الذبيح[٧٢]، وقد أُشتق منها تسمية الدين الجديد[٧٣]. ومن منطق إن الشيء يُعرف بنقيضه نقول ليس اعتباطا أن يُستمد اسم السورة من حادثة البقرة (٦٧-٧٣) التي أُمر بنو إسرائيل بذبحها في عهد موسى، فالدلالة العامة للقصة تتركز على بيان مشاكستهم وتمردهم وشكهم، وهي صفات مناقضة لمفهوم كلمة الإسلام بمعنى الطاعة التامة، ويمكن القول إن القصة كعلامة دالة على ما تقدم لا تبتعد كثيرا عن مجمل الوضع في يثرب آنذاك بين متمردين على سلطة النبي محمد ومشككين بنبوته وبين طائعين ومصدقين به، ولا سيما أن كثيرا من آيات البقرة ربطت بين ماضي بني إسرائيل وحاضرهم في العصيان والتمرد على الأنبياء (٤٠-٦١، ٦٣-٦٦، ٨٧، ٩٢-٩٣، ٢١١) كي ترسل رسالة مزدوجة لإقناع أهل يثرب عموما بأهمية الطاعة والتسليم للسلطة النبوية.

٢/ الإيمان بكل الأنبياء والكتب السماوية من أجل كسر احتكار النبوة من قبل بني إسرائيل وشرعنة نبوة النبي محمد كما مر بنا سابقا، لذا تكرر في سورة البقرة الحديث عن صفات المؤمنين ومنها (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ...(٢٨٥)[٧٤].

٣/ مرجعية المسجد الحرام: يمكن أن ندرس هذه الفقرة في موضوعين متآزرين هما القِبلة وقصة بناء البيت والحج إليه، فيمكن القول لغويا إن القِبلة من القبول، وما يكون أمام الوجه أيضا، وغيرها[٧٥]، وقد جاء في سورة البقرة (أ/ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ب/ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...(١٤٤)، فالشق الأول من الآية يوصف بحث النبي محمد عن قبلة لأن التقلب يعني "التحوُّل والتصرُّف"[٧٦]، فقد كان النبي بحاجة إلى رمز ديني كبير يحقق للدين الجديد هويته الخاصة المتفردة، وكان هناك رمزان، الأول هو المسجد الأقصى أو بيت المقدس، والثاني هو المسجد الحرام أو الكعبة بيت الله في مكة[٧٧]، ويظهر أنها كانت مشكلة تؤرق النبي محمد وتحيره بين اختيار قبلة أهل الكتاب أو اختيار قبلة المشركين، ومصدر القلق والحيرة هو إن كِلا هذين المُمكِنيّن لا

يعترف به نبيا، لكنه يريد أن يُكسِب الدين الجديد هويته المتميزة عن الديانات الموجودة التي يشوبها الشرك حتى الديانات التوحيدية منها.

أما الشق الثاني من الآية فعبارة عن حسم لهذه المشكلة باختيار بيت الله الحرام كقِبلة حيث أُمِرَ بأن يولي وجهه أي يديره نحو المسجد الحرام، وتكرر هذا الأمر في آيات أخرى(١٤٩-١٥٠) كنوع من التأكيد عليه نتيجة ردة الفعل التي أثارها هذا القرار ولاسيما من قبل أهل الكتاب (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا...(١٤٢) التي تأتي بمعنى ما الذي صرفهم أو حولهم[٧٨]، فولى تعني أدار ظهره، وهذا المعنى موجود في عدد من الآيات القرآنية[٧٩]، "وَقَدْ وَلَّى الشيءُ وتَوَلَّى إذا ذَهَبَ هارِباً ومُدْبراً، وتَوَلَّى عَنْهُ إذا أَعْرَض"[٨٠]، فضلا عن أن معنى القبلة هو ما يكون قبال أي أمام الوجه وليس خلفه، وفعلا فإن المسلمين في يثرب عندما أُمروا بالتوجه إلى المسجد الحرام كقبلة فأنهم أعطوا ظهرهم للمسجد الأقصى الذي يقع شمال يثرب في بلاد الشام في بيت المقدس، بينما كانت مكة تقع جنوب يثرب، ورغم اختلاف المفسرين بخصوص المقصود بالسفهاء فقالوا إنهم اليهود أو المنافقون أو المشركون أو الكل[٨١]، إلا أني أميل إلى ترجيح أن المقصود هم أهل الكتاب وبخاصة اليهود، بدلالة ما ورد في آية البقرة (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ...(١٤٥)، فضلا عن أنه ليس من المنطقي أن يعترض أو يحتج المشركون على تعظيم بيت الله/الكعبة.

وعلى أية حال ندرك من خلال اعتراض اليهود أن المسلمين كانوا يصلون إلى بيت المقدس، ولعل هذا الأمر كان منذ نزول آية الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا...(١)، التي لا أحصر دلالتها في حادثة الإسراء فقط، بل هناك دلالة أعم تقبع فيما وراء هذه الحادثة ألا وهي أنها كانت بمثابة إعلان اختيار المسجد الأقصى كمرجعية على الأقل في الثلث الأخير من المرحلة المكية ولا سيما أن عبارة (الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا(١٤٣) تؤكد ذلك. إن أهمية اتخاذ المسجد الأقصى كقبلة ترتبط في المرحلة المكية بمحاولة تجذير وتأصيل الدعوة الجديدة كامتداد للديانات السابقة وفقا لما كان شائعا آنذاك بين العرب من معتقدات وتصورات تكمن في أن بيت المقدس كان موطنا للديانات الكتابية كاليهودية والنصرانية آنذاك، إذ كان معروفا بين العرب بأن النبوة والعلم/الكتاب السماوي كان حكرا على بني إسرائيل ومصدرهما بلاد الشام ومن هنا يكتسب المسجد الأقصى أهميته الرمزية في حادثة الإسراء كوسيلة إضفاء المشروعية على نبوة النبي محمد، وقد ذكر المفسرون بأن المسلمين كانوا يصلون لبيت المقدس قبل الهجرة لأكثر من ثلاث سنوات واستمروا بعدها لمدة تتراوح بين ١٣-١٧ شهرا[٨٢]، و"قال ابن جريج: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوَّلَ ما صلى إلى الكعبة، ثم صُرف إلى بَيت المقدس. فصلَّت الأنصارُ نحو بيت المقدس قبلَ قُدومه ثلاث حِجَجٍ: وصلّى بعد قُدومه ستة عشر شهرًا، ثم ولاه الله جل ثناؤه إلى الكعبة"[٨٣]، ويتبين أن السبب في اتخاذ بيت المقدس قبلة هو الرغبة في

إيمان أهل الكتاب ومتابعتهم للنبي[٨٤] بدلالة آية (...وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ(١٤٣)، وربما تعني إلقاء حجة على أهل الكتاب الذين رغم ذلك لم يؤمنوا بنبوة محمد.

وفي السياق نفسه ينبغي الحديث عن آيات بناء البيت (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(١٢٥) (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(١٢٧)، التي هي امتداد للخطاب القرآني المكي بهذا الخصوص (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(الحج٢٦)[٨٥]، ويمكن أن نفهم إن الآيات المذكورة تؤصل بيت الله الحرام في مكة كمرجعية يمتاز بالقدسية والقِدَم وقد تَعَزز ذلك بإطلاق تسمية (البيت العتيق) عليه في سورة الحج ٢٩، إذ بُنيَّ على يد إبراهيم وإسماعيل وأصبح يملك مزايا كثيرة منها أنه كان محل توافد كثير من الناس عليه وامتيازه بالأمان ومكان لعبادة الله لاسيما إن الدعوة الجديدة تحيّي من خلال التوحيد الخالص مبدأ التطهير الذي ذكرته الآية١٢٥، فالطهارة دلاليا هي نقيض النجاسة والدنس ومنها الشرك[٨٦]، وقد تم تعظيم المسجد الحرام عبر التأكيد على استمرارية الحج إليه في عدد من آيات سورة البقرة التي تناولت بعضا من شعائر الحج الأساسية (١٥٨، ١٨٩، ١٩٦-٢٠٠)، علاوة على استمرارية حرمته عند المسلمين التي تنهى عن القتال فيه إلا اضطرارا وإجبارا من قبل الخصم (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ(١٩١).

٤/ صوم شهر رمضان (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٨٣)[٨٧]، الذي يعتبر جزءا من إكساب الإسلام هوية مغايرة عن الديانات السابقة، بحسب منطوق الآية أنه لا يختلف من حيث المبدأ عن الصيام عند أهل الكتاب، لكنه يختلف في التفاصيل كمدته ووقته والمحرمات من الطعام والشراب فيه[٨٨].

ب/ يُعد فرض القانون من مرتكزات بناء الدولة، والتشريعات التي وردت في سورة البقرة هي جزء أصيل من القانون، وقد كانت هناك حاجة ماسة لها بدلالة التساؤلات التي وردت في السورة عن عدة موضوعات مثل الأهلة (١٨٩) والإنفاق (٢١٥، ٢١٩)، والقتال في الشهر الحرام (٢١٧)، والخمر والميسر (٢١٩)، ومعاملة اليتامى (٢٢٠)، والمحيض (٢٢٢)، في حين لم نجد تساؤلات مماثلة في السور المكية التي لم تتضمن إلا عددا قليلا من الأحكام، وهو أمر طبيعي ينسجم مع طبيعة تلك المرحلة التي سبق أن أشرنا لها بمرحلة الجماعة المضطهدة المعارضة للنظام القائم آنذاك، بينما شهدت المرحلة المدنية وضع أسس الدولة مما استوجب أن تبدأ التشريعات والأحكام، فالقانون هو عصب الحياة الاجتماعية وركن مهم من أركان الدولة، حيث ينظم العلاقة بالعدل بين أفرادها ويحكم في اختلافاتهم، فجاء في سورة البقرة (... وَأَنْزَلَ

مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...(٢١٣) التي نلحظ فيها بيان وظيفة الكتاب ولاسيما تشريعاته الممثلة في فض اختلافات الناس وحل مشاكلهم، لذا ارتبط الكتاب في سورة البقرة بالبر (٤٤، ١٧٧)، والحكمة (١٢٩ ،١٥١، ٢٣١)، والهداية (٥٣، ١٢٩، ١٥١، ١٨٥)، لأن من أبرز ميزاته صفتيّ الإلزام بمعنى الفرض، فنجد كلمة (كُتِبْ) أي فُرِضَ تتقدم مجموعة من الأحكام كالقصاص والوصية والصيام والقتال(١٧٨، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٧، ٢١٦، ٢٤٦)، وأمتاز أيضا بالشمولية إذ ذُمَ العمل ببعضه وترك البعض الآخر(٨٥)، وهو مُصدق للكتب السابقة (٤١، ٨٩، ٩٢، ٩٧، ١٠١)، لذا عُدَ الكتاب من مرتكزات الإيمان (٢، ١٢١، ١٧٧، ٢٨٥)، وهناك ذمٌ لمن يحرفونه (٧٩) أو يخالفونه (١٧٦).

وسجلت سورة البقرة الأحكام الآتية: تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير(١٧٢)، القصاص (١٧٨-١٧٩)، الوصية عند الموت(١٨٠-١٨٢)، رشوة الحكام(١٨٨)، الخمر والميسر(٢١٩)، معاملة اليتامى وأموالهم (٢٢٠)، تحريم نكاح المشركات والمشركين(٢٢١)، اعتزال النساء في المحيض (٢٢٢)، الطلاق (٢٢٦-٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٦-٢٣٧، ٢٤٠-٢٤١)، إرضاع الأطفال (٢٣٣)، خطبة النساء (٢٣٥)، الصلاة (٢٣٨-٢٣٩)، الإنفاق في سبيل الله (٢٦١)، الإنفاق والتصدق (٢٦٤-٢٧٤)، الربا(٢٧٥-٢٧٦، ٢٧٨-٢٨٠)، التداين (٢٨٢-٢٨٣).

يبدو أن هذه الأحكام كانت سارية على المسلمين في يثرب ومن ينضم لهم، ولا تسري على غيرهم من يهود ومشركين، إذ إن إحدى آياتها منعت المسلمين من التزاوج مع المشركين (٢٢١)، أي إنها تشريعات تحاول أن تنظم الحياة الاجتماعية للمسلمين وتمنحهم خصوصية يتميزون بها عن غيرهم حتى لا يعتمدوا على الأعراف القبلية القديمة أو تشريعات أهل الكتاب، إذ اتضح إن بعض المسلمين كانوا يلجؤون في حسم بعض قضاياهم إلى بعض الحكام الذين ربما يكونون زعماء قبليين أو حكماء أو عرافين، وهذا ما نصت عليه الآية (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(١٨٨)، التي تؤشر لجوء بعض المسلمين إلى استخدام الرشوة من أجل الحصول على أموال غيرهم[٨٩]، وفي الوقت الذي كشفت فيه الآية عن وجود فراغ تشريعي في بعض مناحي الحياة الاجتماعية، ولاسيما إن الدولة في سنتها التأسيسية الأولى، فإنها تحاول أن تلزم المسلمين بالاحتكام للكتاب وأن يكون النبي محمد هو الحكم.

ت/ الجيش

لم تكن وظيفة الجيش حفظ الحدود والقيام بحملات عسكرية خارجية فقط إنما هو أيضا قوة ردع لكل من يحاول زعزعة الأمن الداخلي، وقد بيّنا سابقا بأنه لم يكن من مصلحة النبي محمد إن تكون يثرب ساحة للاقتتال الداخلي مثلما كانت قبل هجرته، ففي هذا إضعاف لسلطته، لذا كان من الضروري إنشاء

قوة عسكرية من المؤمنين لتحقيق الأهداف المذكورة ومنها ترسيخ الأمن ومنع الفوضى والاقتتال الداخلي في يثرب الذي تمت الإشارة له كتلميح جاء في سياق انتقاد قيام بني إسرائيل بقتل وأسر وتهجير بعضهم البعض(٨٥).

وقد كان تشكيل الجيش بعد الهجرة على رأس أولويات النبي محمد وهذا ما يمكن أن نستلهمه من إن أول الآيات المدنية نزولا كانت تحمل إذن القتال حيث نزلت بعد خروج النبي من مكة مهاجرا إلى يثرب مباشرة (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(الحج٤٠)[٩٠]، وواصلت آيات سورة البقرة تكريس هذا الأمر (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)، (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤). وفعلا تشير مصادر السيرة النبوية إلى قيام النبي محمد بإرسال أربع سرايا وقيادة أربع غزوات قبل معركة بدر(٢هـ/٦٢٤م)[٩١].

وقد حددت الآيات القرآنية وظيفة هذه القوة كجزء من سلطة الدولة، ويمكن أن يتبين الأمر أكثر بدراسة الآيات التي تتحدث عن القتال في سورة البقرة، التي علينا أولا أن نستعرض مضمونها، فمن حيث العموم هناك ثلاث مجموعات، ضمت الأولى (١٩٠-١٩٤) أمرا بمواصلة القتال(١٩٠)، وقتل المشركين في أي مكان يظفرون فيه بهم (١٩١) على أن يستثنى من ذلك القتال عند المسجد الحرام (١٩٢)، وخُتمت المجموعة بجواز القتال في الشهر الحرام (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...(١٩٤).

أما المجموعة الثانية (٢١٦-٢١٨) فبدأت بالإشارة إلى فرض القتال على المسلمين برغم كراهتهم له (٢١٦)، بينما شخصت الآية (٢١٧) حضور الشك وعدم القناعة بالقتال في الشهر الحرام من قبل البعض بدلالة التساؤل عن ذلك فجاءت الإجابة بعدم حرمة القتال فيه، وختمت المجموعة بآية تُعلي من شأن المجاهدين في سبيل الله من المؤمنين (٢١٨). في حين نصت المجموعة الثالثة في أول آياتها بأن الحياة والموت بيد الله (٢٤٣)، ثم كررت في الآية الثانية (٢٤٤) الأمر بمواصلة القتال في سبيل الله مثلما ورد في آية (١٩٠).

وقد تحدثت بعض آيات سورة البقرة عن المنظور القرآني العام للقتال وموجباته، ويمكن أن نبدأ بالآية(... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ(٢٥٣)، التي تقدم الاختلاف على أنه العامل الذي يجعل القتال حتميا، هذا من حيث العموم، أما من حيث الخصوص فنجد آيات أخرى تبين الأسباب التي توجب وتشرعن القتال ومنها سبب عام هو منع الفساد في الأرض (...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ

بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)، فالدفع يعني الإزاحة والإبعاد أي إزاحة وإبعاد الفساد الذي وصِف في خاتمة سورة الحج بأنه هدم دور العبادة (... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا...(٤٠)[٩٢].

وهناك سبب خاص للقتال هو الحيلولة دون خطر أكبر يمس إيمان المؤمنين يتمثل في الفتنة، بمعنى الابتلاء والاختبار في دينهم[٩٣]، وقد وضعت الفتنة في موضع مقارنة مع القتل فوصفت بأنها أشد وأكبر من القتل (١٩١، ٢١٧) لاحتمالية أن تؤدي الى ارتدادهم عن دينهم أي عن الانجاز الذي حققوه آنذاك بأن تكون لهم دولة وأن يكونوا أمة كتابية كأهل الكتاب الذين كانوا يغذون باستمرار عقدة النقص والدونية لديهم (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٢١٧)[٩٤]، فخاتمة الآية تصور أن احتمالية انتصار المشركين وارتداد المسلمين واردة الحدوث حتى أنها حملت توعدا بالنار لمن يرتد منهم من أجل حثهم على تقبل القتال في سبيل الله كخيار يحول دون ما هو أسوء.

وعلى ما يظهر فإن النبي محمد واجه بعض الصعوبات في إقناع المؤمنين أنفسهم بخصوص المشاركة في القتال الذي وصفت إحدى الآيات كراهتهم له (٢١٦)، إذ لم يعكر صفو تشكيل الجيش وتسيير السرايا والغزوات سوى تقاعس بعض المؤمنين عن المشاركة فيها في البداية، ومن أجل تقديم دليل على ذلك نقرن بين ما ذكرته روايات السيرة النبوية عن قلة عدد المؤمنين المشاركين في الحملات العسكرية على مستوى الواقع[٩٥]، وبين دلالة اعتراض بعض بني إسرائيل على تمليك طالوت كخطاب على مستوى القصة، استنادا إلى أن كل قصة وكل مَثل قرآني يحمل قصدية ورسالة لها علاقة بالواقع آنذاك (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(٢٤٧) التي لا استبعد أنها ربما تشير لاعتراض بعض المؤمنين من الأنصار على قادة السرايا قبل معركة بدر الذين كان كلهم من المهاجرين[٩٦]، ولاسيما مع وجود لغط غير محسوم في مصادر السيرة النبوية بخصوص مشاركة الأنصار في السرايا والغزوات.

أما المشكلة الثانية التي واجهت النبي محمد فيمكن أن نجدها من خلال قراءة بعض آيات القتال ومنها تساؤلات المؤمنين عن القتال في الشهر الحرام (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ...(٢١٧)، وتكرار التأكيد القرآني بجواز القتال فيه (١٩٤)، وقد جاءت هذه الآيات في سياق معالجة ما حدث في سرية نخلة[٩٧] من قتال في شهر رجب الحرام، التي يبدو أنها قادت إلى لغط وانقسام بين

المؤمنين بخصوصه، وإذا توقفنا قليلا عند مضمون الآية (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٢١٣)، التي رغم أنها مثلٌ مضروب للمسلمين من الأمم السابقة إلا أن مضمون الرسالة واحد هو اختلاف الكتابيين فيما بينهم رغم البينات أي الحجج الدامغة، وبصفة خاصة إن فحوى الآية التي تليها يكشف عن أن الخطاب موجه للمسلمين لتلافي خلاف مماثل وقع بينهم حول أمر ما (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ(٢١٤)، علما أن هاتين الآيتين جاءتا بين مجموعة الآيات الأولى والثانية الخاصة بالقتال وأنها تقدمت المجموعة الثانية مما يؤكد صلتها بها ويرجح أن ما حدث في سرية نخلة من مهاجمة قافلة قريشية قرب مكة أثناء شهر رجب الحرام قد أثار مشكلة بين المؤمنين أولا، وقيام المعارضين لسلطة النبي باستغلال ما حدث لإثارة أهل يثرب عليه ثانيا[٩٨] بحكم قدسية الأشهر الحرم عند العرب آنذاك، كما لا يستبعد أن لها علاقة بالآيتين اللتين جاءتا أيضا بين المجموعتين المذكورتين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٢٠٩)، لاسيما إذا استحضرنا معنى السلم سابقا الذي يتحلق حول القبول بأمر ما أي الانقياد للنبي محمد وطاعته[٩٩]، فربما شك أو اعترض بعض المؤمنين مما استدعى أن يُؤمَروا بقبول أوامر النبي وطاعته.

ث/ الدستور:

لا يوجد في آيات البقرة ما يشير صراحة إلى إصدار النبي لوثيقة أو صحيفة تضم مبادئ عامة تنضم العلاقة بين أهل يثرب بمختلف مشاربهم الدينية، مثلما هو موجود في المصادر التاريخية التي تقول بإصدار النبي للصحيفة التي سميت في المصادر الحديثة بدستور المدينة، ومع ذلك نجد أن بعض الآيات وضعت أسسا عامة يمكن أن تكون بنودا لدستور يثرب، ومنها ما سبق أن ذكرناه بأن دين الدولة هو الإسلام بكل التفاصيل التي منحته هويته المختلفة عن بقية الديانات، وإضافة لهذا إقرار مبدأ عدم الإكراه في الدين أي في المعتقد (٢٥٦) الذي يتركز على الانقياد لله والخضوع له وطاعته لأن الدين هو الطاعة[١٠٠]، واحترام الديانات التوحيدية السابقة من خلال مبدأ الإيمان بكل الأنبياء والرسل وأن الآيات القرآنية متممة للكتب السماوية، ودعوة الآخرين للانضمام للدين والدولة الجديدة (١٣، ٤١)، ومطالبتهم بالابتعاد عن الانغلاق الفكري والتعصب الديني (٩١، ١٧٠).

التأكيد على أهمية البر والعمل الصالح (٤٤، ٦٢، ٨٣، ١٦٨، ١٧٧)، ومنه التكافل الاجتماعي (٢٧١، ٢٧٣)، وذم كل ما يتعارض معه من فساد (١١-١٢، ٢٧، ٢٠٥)، ونفاق (٧٦، ٢٠٢)، ونقض العهد والميثاق (٢٧، ٦٣-٦٤، ٩٣، ١٠٠).

إقرار السلم المجتمعي بمنع الثأر القبلي وإحلال القصاص محله (١٧٨-١٧٩)، والنهي عن الاقتتال الداخلي بين سكان يثرب (٨٥)، وإقرار مبدأ عدم الاعتداء في الحرب عبر قصر القتال في سبيل الله على مَنْ يقاتلون المسلمين فقط (١٩٠).

وفي الجانب السياسي يكون للنبي محمد مثلما سبق القول جمع السلطتين الدينية والدنيوية، وأن الآيات القرآنية هي مصدر التشريعات على الرغم من أنها ملزمة فقط للمؤمنين، وأن النبي هو الحكم في الخلافات(١٨٨)[١٠١].

الخاتمة:

إن قيمة سورة البقرة تتجلى في أنها تمحورت حول وضع أسس بناء الدولة في العهد المدني ولاسيما في خطابها السياسي، مركز اهتمام هذه الدراسة، الذي أتى بمضمون مغاير لما جاء في الديانات اليهودية والنصرانية والوثنية التي فصلت بين الدين والسياسة. وإن علينا أن نضع النقاط فوق الحروف كي يكون الأمر دقيقا ولا نقيس اللاحق على السابق، ففي اللحظة التاريخية التي مثلتها سورة البقرة نرى أن النبي محمد شرع في وضع الأسس الأولية للدولة على الرغم من إنه حتى ذاك الحين لا يمكن أن نطلق عليها مصطلح الدولة الإسلامية، فقد تطورت فيما بعد بشكل أنضج، إذ واجه معارضة قوية من المشركين واليهود من سكان يثرب، فضلا عن التحدي الخارجي المتمثل بالمكيين الذين لا يريدون لهذه التجربة النجاح.

الهوامش:

١ – الإسلام وأصول الحكم، ١٥٤؛ راجع أيضا: هاشم يحيى الملاح، حكومة الرسول دراسة تاريخية – دستورية مقارنة، بغداد ، ٢٠٠٢، ط١، ٧٩–٨٣؛ سمير عالية، نظرية الدولة وآدابها في الإسلام، بيروت، ١٩٨٨، ط١، ٩.

٢ – العقل، ناصر بن عبد الكريم، إسلامية لا وهابية، ٣٩، ٣٢٤؛ السحيم، محمد بن عبد الله، الإسلام أصوله ومبادئه، ١٤٦/٢.

٣ . البقرة ٩، ١٤، ٢٥، ٢٦، ٦٢، ٧٦، ٨٢، ١٠٤، ١٥٣، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٨، ١٨٣، ٢٠٨، ٢١٢، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٢.

٤ – ينظر عن تفسيرها: تفسير الطبري، ٥١٧/٢، البقرة ١١٨، عن تفسيرها: تفسير الطبري، ٥٥١/٢.

٥ . البقرة ١١١، ١١٣، ١٢٠، ١٣٥، ١٤٠.

٦ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٣٣٩/١؛ ٣٢٦/٣؛ ابن حجر، الإصابة، ٥٨٩/١؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام [بغداد ، د. ت] ٦٠٢/٦ .

٧ . الرازي، مفاتيح الغيب، ٥٥٥/٣؛ ينظر أيضا البقرة ٢٠٤–٢٠٦.

٨ – البقرة ٢٦، ٢٨، ٣٩، ٦١، ٨٨–٩١، ٩٣، ٩٩، ١٠٥، ١٢١، ١٢٦، ١٥٢، ١٦١، ١٧١، ٢١٢، ٢١٧، ٢٥٦–٢٥٨.

٩ – تفسير الطبري١/٢٥١.

١٠ – ابن منظور، لسان العرب، ١٤٤/٥.

١١ . ينظر: البقرة ٤١، ٨٨، ٩٠–٩١، ٩٧–٩٩، ١٠٠–١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١٢٠، ١٣٥.

١٢ . تفسير الطبري١/٢٧٠.

١٣ . ينظر: البقرة ١٨، ١٧١.

١٤ . ينظر: البقرة ١٣٥، ١٤٥.

١٥ – البقرة ١٦٥، ٢٦٥–٢٧٥.

١٦ . ولا يُستبعد أن لها علاقة بانتقاد عبادة العجل الواردة في قصة موسى، ينظر: البقرة ٥٤، ٩٢–٩٣.

١٧ . ينظر: البقرة ٢٨، ٥٦، ٧٣، ٢٤٣، ٢٥٩.

١٨ . ينظر: البقرة ٢٤–٢٥، ٣٨–٣٩، ٤٨، ٦٢، ٨١–٨٢، ٨٦، ١٠٣، ١١٣–١١٤، ١٢٣، ١٢٦، ١٦١–١٦٢، ١٦٥–١٦٧، ١٧٥، ٢٠١–٢٠٢، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٧، ٢٥٧، ٢٦٦، ٢٧٤، ٢٧٧.

١٩ . ينظر: البقرة ٩٤.

٢٠ . راجع: تفسير الطبري، ٣٧٧/٢.

٢١ . التوراة، سفر التكوين، ١٣/٦–١٤؛ ١/٧.

٢٢ . التوراة، سفر التكوين، ١/١٢؛ ١٤/١٣؛ ٩/١٧، ١٥، ١٩؛ ١٢/١٢؛ ٣/٣١ (نبي يعقوب) .

٢٣ . ينظر: الزمخشري، الكشاف،١٨٣/١.

٢٤ . ينظر أيضا: طه ١٢، وسيوصف الأمر بدقة في سورة النساء التي نزلت بعد البقرة (...وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا(١٦٤).

٢٥ . البقرة ٣٠، ١٦١، ٢١٠، ٢٤٨.

٢٦ . البقرة ١٦١، ١٧٧، ٢٨٥.

٢٧ . ابن منظور، لسان العرب، ١٨١/١٠؛ راجع أيضا: مقاييس اللغة، ١٧٠/٣.

٢٨ . ينظر أيضا البقرة ١٧٦.

٢٩ . ينظر البقرة ٧٩.

٣٠ . ينظر البقرة ٢٧، ١١٤، ٢٠٥.

٣١ . مقاييس اللغة، ٨٥/٦، ابن منظور، لسان العرب،٣٧١/١٠.

٣٢ . مقاييس اللغة، ١٦٣/٤.

٣٣ . محمد شحرور، الدين والسلطة، ٣٥١.

٣٤ . راجع ٤٠-٤٦، ٨٣-٨٤.

٣٥ – التوراة، صامويل٢، ٥/ ١-٣، ١٧؛ ينظر ايضا: ؛ الملوك١، ١١/٢-١٢؛ الملوك٢، ١٠/١١، .

٣٦ – التوراة، صامويل٢، ٧/ ٤ وما بعدها، ٢٥/١٢؛ الملوك١، ٣٣/١.

٣٧ – التوراة، الملوك١، ١٣/١.

٣٨ – التوراة، الملوك١، ٣٣/١، ١١/٢-١٢؛ ينظر أيضا: الملوك٢، ٢٣/ ١٣؛ ١٣/٢٤.

٣٩ – إنجيل متى، ٢٢/ ٢١؛ إنجيل مرقس، ١٢/ ١٦؛ إنجيل لوقا، ٢٠/ ٢٥.

٤٠ – إنجيل يوحنا، ١٨/ ٣٦ .

٤١ – جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٤٣/٤.

٤٢ – لمزيد من التفاصيل راجع: علي غانم جثير، التغير الميثولوجي في عصر الرسالة ودوره في دوافع حركات الردة، مجلة أبحاث ميسان، ع ١٧، سنة ٢٠١٣م، ١٥٣؛ ينظر أيضا: جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢١٥/٦.

٤٣ – من الضروري أن نحيط القارئ علما بأننا سنقتصر في دراسة القصة على شرح مضمون الخطاب السياسي وإلا فأن القصة حملت مضامين أخرى كثيرة، سنفرد لها بحثا مستقلا.

٤٤ – تفسير الطبري، ١/ ٤٤٩.

٤٥ – تفسير الطبري،٧٨/١٣.

٤٦ – تفسير الطبري، ١/ ٤٤٨.

٤٧ – تفسير الطبري، ١/ ٤٥٢.

٤٨ – تفسير الطبري، ١٨٩/٢١.

٤٩ – راجع أيضا: ص١٧، ٣٠، النمل ١٦، الأنعام ٨٤، سبأ ١٠، الأنبياء ٧٩.

٥٠ – مقاييس اللغة، ٣٥١/٥.

٥١ – لسان العرب، ٤٩٢/١٠.

٥٢ – ص٢٠، ٣٥، النمل٢٣، ٣٤، يوسف ٥٠، ٥٤، ٧٢، ٧٦، ١٠١، غافر ٢٩، الزخرف٥١، الكهف ٧٩.

٥٣ – ١٠٢، ٢٤٦–٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٨.

٥٤ – تفسير الطبري، ٣٧٢/٥، وما يعزز ذلك وجود ربط قرآني بين الكتاب والحكمة وأن مضمون الوحي هو الحكمة ويمكن الرجوع للآيات الآتية للتدليل على صحة ذلك: الإسراء٣٩، لقمان١٢، الزخرف٦٣، البقرة ١٢٩، ١٥١، ٢٣١ .

٥٥ – تفسير الطبري، ٣٧٨/٥؛ وراجع تفضيل داود بالزبور في سورة الاسراء ٥٥.

٥٦ – علي غانم جثير، مرتكزات بناء الدولة في عهد الرسول، مجلة الدراسات التاريخية، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، حزيران ٢٠٢١، ع ٣٠، ١١٥–١٥٦.

٥٧ – الأنبياء ٧٨–٧٩.

٥٨ – راجع أيضا: لقمان١٢، الزخرف٦٣، البقرة ١٥١، ٢٣١.

٥٩ – مونتغمري وات، محمد في المدينة، ٣.

٦٠ – محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة،١/ ٦١–٦٢.

٦١ – ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٤٢/١.

٦٢ – أقصد بالكتابية هنا النسق الاجتماعي والثقافي الذي تكون الدولة والقانون عماده بفعل وجود الكتاب كمصدر أساسي للتشريعات والتعليمات التي تنظم حياة الأفراد وتكون ملزمة لهم، أي بمثابة دستور، وهي نقيض الشفاهية التي تكون القبيلة والأعراف سمتها المركزية، راجع: علي غانم، البيئة النبوية من منظور قرآني، ٤٨١–٤٩٢؛ للمزيد راجع: والترج، أونج، الشفاهية والكتابية، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٨٢.

٦٣ . التوراة ، التكوين ٢١.٢٠/١٧ .

٦٤ . دروزة، عصر النبي ٧٣٢ .

٦٥. راجع : ص ٤٨، الأنعام ٨٦، الأنبياء ٨٥، البقرة ١٣٦، وسيطرح في سور تالية مثل: آل عمران ٨٤، النساء ١٦٣ .

٦٦. راجع البقرة ١٣٦.

٦٧. راجع البقرة ٩٠، ١١٩،١٠٥–١٢٠، ٢٥٢.

٦٨ – راجع أيضا: الأنعام ١٦١، البقرة ١١٢، ١٢٨، ١٣٢–١٣٣، ١٣٦، ١٣٨–١٣٩، ١٦٣.

٦٩ – راجع أيضا: الأنعام ١٦١، النحل ١٢٠، ١٢٣.

٧٠. راجع : مريم ٤١- ٤٨، الشعراء ٦٩- ٨٨، يوسف ٣٨، الأنعام ٧٤-٨١، ١٦١، الصافات ٨٣-٩٦، الزخرف ٢٦-٢٨، إبراهيم ٣٥، الأنبياء ٥١-٧٠، العنكبوت ١٦-١٧.

٧١. مقاييس اللغة، ٩٠/٣، راجع تفسير الطبري، ٩٣/٣؛ ويقول الطبري في ثنايا تفسيره لآية البقرة ١١٢ أن "أصل الإسلام، الاستسلام... وهو الخضوع لأمره" تفسير الطبري، ٥١٠/٢. انظر أيضا آية ١٢٨ تفسير الطبري٧٣/٣.

٧٢. الصافات ١٠١-١٠٧.

٧٣. راجع الانعام ١٢٥، الزمر ٢٢، وفي سور مدنية نزلت بعد سورة البقرة: آل عمران ١٩، ٨٥، الحجرات ١٧، الصف ٧، المائدة ٣، التوبة ٧٤.

٧٤. راجع: ٤، ١٣٦، ١٧٧، ٢٨٥.

٧٥. راجع: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥١/٥-٥٢.

٧٦. تفسير الطبري، ١٧٢/٣.

٧٧. تفسير الطبري، ١٧٢/٣.

٧٨. تفسير الطبري، ١٣١/٣.

٧٩. النمل ١٠، ٨٠، القصص ٣١، لقمان ٧، الإسراء ٤٦، الروم٥٢، الأحقاف٢٩، وغيرها كثير راجع المعجم المفهرس ٧٦٤-٧٦٨.

٨٠. لسان العرب، ١٥/ ٤١٥.

٨١ – الرازي، مفاتيح الغيب، ٧٩/٤-٨٠.

٨٢. تفسير الطبري، ١٣٤/٣-١٣٥.

٨٣. تفسير الطبري، ١٣٩/٣.

٨٤. تفسير الطبري، ١٣٨/٣.

٨٥. يرجح المفسرون أن آيات سورة الحج (٢٥-٣٧) مكية؛ راجع دروزة، التفسير الحديث، ٧/٦؛ وانظر عن بناء إبراهيم للبيت سورة إبراهيم ٣٧.

٨٦. تهذيب اللغة، ١٠٠/٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٤٧/٤.

٨٧. راجع عن الصيام الآيات (١٨٣-١٨٧)، تفسير الطبري، ٤٠٩/٣.

٨٨. راجع عن الصيام عند أهل الكتاب: قاموس الكتاب المقدس، مادة صوم.

٨٩. الزمخشري، الكشاف، ٢٣٣/١.

٩٠. تفسير الطبري، ٦٤٤/١٨؛ الزمخشري، الكشاف، ١٦٠/٣؛ دروزة، التفسير الحديث، ٧/٦-٨.

٩١. راجع: مغازي الواقدي ١/ ٢، ٩-١٩.

٩٢. تفسير الطبري، ٦٤٦/١٨.

٩٣. راجع تفسير الطبري، ٥٦٥/٣ (آية ١٩١)؛ ٥٧٠/٣ (آية ١٩٣)؛ ٣١٤/٤-٣١٥ (آية ٢١٧).

٩٤. راجع أيضا الآيتان ١٩١، ١٩٣.

٩٥. راجع: مغازي الواقدي ١/ ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٥٩١/١، ٥٩٥، ٦٠٠، ٦٠١.

٩٦. راجع: مغازي الواقدي ١/ ٩، ١٠، ١١، ١٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٥٩١/١، ٥٩٥، ٦٠٠، ٦٠١.

٩٧. سرية نخلة هي السرية التي قادها الصحابي عبد الله بن جحش في شهر رجب الحرام من السنة الثانية للهجرة، برفقة ٨ من المسلمين وكانت مهمتهم التجسس على تحركات قريش وجمع المعلومات عنهم، ولكنها خرجت عن هدفها لتتطور إلى قتال بفعل حماس أفراد السرية وقائدهم، راجع: مغازي الواقدي ١٣/١-١٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٦٠١/١-٦٠٥.

٩٨. الواقدي، مغازي، ١٦/١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٦٠٤/١.

٩٩. مفاتيح الغيب، ٣٥١/٥.

١٠٠. مقاييس اللغة، ٣١٩/٢.

١٠١ – لمزيد من المعلومات حول الروابط بين سورة البقرة والصحيفة راجع: علي غانم جثير، مرتكزات بناء الدولة في عهد الرسول، مجلة الدراسات التاريخية، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، حزيران ٢٠٢١، ع ٣٠، ١١٥-١٥٦.

قائمة المصادر:

التوراة

الإنجيل

القرآن الكريم

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م.

الأزهري، محمد بن أحمد الهروي (ت٣٧٠هـ/٩٨١م)، تهذيب اللغة، تح محمد عوض، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

جثير، علي غانم، أ/ البيئة النبوية من منظور قرآني، بغداد، دار الفراهيدي، ٢٠١٢م.

ب/ التغير الميثولوجي في عصر الرسالة ودوره في دوافع حركات الردة، مجلة أبحاث ميسان، ع ١٧، سنة ٢٠١٣م.

ت/ مرتكزات بناء الدولة في عهد الرسول، مجلة الدراسات التاريخية، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، حزيران ٢٠٢١، ع ٣٠.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م .

حميد الله، محمد، (ت٢٠٠٣م)، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط٦، ١٩٨٧م.

دروزة، محمد عزت (١٩٨٤م) أ/ التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ١٩٦٣.

ب/ عصر النبي، بيروت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ط ٢.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ/١٢١٠م)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت٥٣٨هـ/١١٤٤م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.

السحيم، محمد بن عبد الله، الإسلام أصوله ومبادئه، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ٢٠٠٠م.

شحرور، محمد، الدين والسلطة قراءة معاصرة للحاكمية، دار الساقي، ٢٠١٢م.

الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ/٩٢٢م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح أحمد محمد، دار الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

عالية، سمير، نظرية الدولة وآدابها في الإسلام، بيروت، ١٩٨٨، ط١.

عبد الباقي، محمد فؤاد (ت ١٩٦٧م)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار ذوي القربى، ١٩٦٤م، ط٣.

عبد الرازق، علي، الإسلام وأصول الحكم، دراسة محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م.

العقل، ناصر بن عبد الكريم، إسلامية لا وهابية، دار كنوز، ٢٠٠٤م.

علي، جواد (ت١٩٨٧م) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام [بغداد ، د. ت].

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

الملاح، هاشم يحيى، حكومة الرسول دراسة تاريخية – دستورية مقارنة، بغداد ، ٢٠٠٢، ط١.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الإفريقي (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٣هـ/٨٢٨م)، السيرة النبوية، تح مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، ط٢، ١٩٥٥م.

وات، مونتغمري ، محمد في المدينة، تع شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت.

الواقدي، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م)، المغازي، تح مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٨٩م.